دلَالة الاقترانات اللَّفظية للفظةِ الشِّراء في القُرآنِ الكريم

م.د.لؤي طارق علي التميمي
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

م.د. سناء زكي علي
جامعة البصرة/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Conjugations of the word "purchase" In the Holy Qur'an

Asst.Dr. Loay Tariq Ali Al-Tamimi
Basra University/College of Education for Human Sciences
Asst.Dr. Sana Zaki Ali
Basra University/College of Education for Human Sciences

ملخص البحث

إنّ تذوق الكلمة العذبة ووضعها في أي تعبير جميل ، أو أسلوب آخاذ هو فطرة في النفوس يشعر بها كل صاحب ذوق سليم ونظر مستقيم ، وهو عمل يميل اليه السمع ويألفه الطبع ؛ ولهذا كان أسلوب القرآن الكريم وتعبيراته هي التي جذبت هذه العقول إليه، إذ لم يسبقه أحد الى مثل هذا سابقاً او لاحقاً ، فألفاظ القرآن منتقاة بعناية وتراكيبه كذلك فلا يمكن أنْ ننتزع لفظة ونضع بدلاً عنها أخرى لكي تحل محلها في المعنى ، ومن هنا يتبين سر الاستعمال القرآني في عقد الصلة بين المفاهيم المتباينة ، وهو إجراء أسلوبي يكشف عن الأبعاد الحقيقية ، والقيم المؤسسة للمنظومة الوجودية الحقة التي يكون للإنسان فيها أسمى الغايات وأعلى المراتب، ولبراعة الاستعمال ودقة الاختيار جاءت اقترانات عدة في القرآن الكريم للفظة الشراء، سوف نتطرق إليها لنعرف مقدار وفائدة وسر هذا الانسجام في السياق القرآني ، فالمتتبع للفظة الشراء في القرآن الكريم يجد أنّها قد اقترنت بمجموعة من الالفاظ جعلت بيانها واضحاً في مدلوله ومعناه.

الكلمات المفتاحية : القرآن، الدلالة،الاقترانات اللفظية، الشراء.

Abstract

Tasting the sweet word and putting it in any beautiful expression or captivating style is an instinct in the souls that is felt by every person of sound taste and straight vision. For this reason it was the style of the Holy Qur'an and its expressions that attracted these minds to it as no one preceded it before or later. The words of the Qur'an are carefully selected and its structures as well. We cannot take out a word and put in its place another in order to replace it in the meaning and from here the secret of use becomes clear. The Qur'anic in establishing the link between the different concepts a stylistic procedure that reveals the true dimensions and the founding values of the true existential system in which the human being has the highest goals and the highest ranks. We will address it to know the amount usefulness and secret of this harmony in the Qur'anic context. The follower of the word "purchase" in the Holy Qur'an will find that it has been associated with a group of words that made its statement clear in its meaning and meaning.

Keywords: Quran, semantics, verbal associations, purchase.

المقدِّمة

تقترن الألفاظ مع بعضها البعض لكي تخرج من سياقها المعجمي وتُعطي مفهوماً مُركَّباً مُشِعَّاً بالدلالات ومُشْبَعَاً بالأبعاد المعرفية ، وهي تختلف باختلاف المُنشئ لتلك الاقتران والعاقد لها ، فما من نص إلَّا ويقوم على جملة من الاقترانات ، فيعكس تجليات المنشئ الفكرية والمعرفيَّة .

إنَّ من أَعظم النِّعم على الإنسان أنْ خاطبَه الله تعالى ببيانٍ يفهمه وإنْ بدا فيه غموض في بعض الأحيان فسرعان ما يزول ؛ بسبب اللغة المستعملة في التعبير الذي يعرفه الإنسان جيداً ، وبخاصة الفرد العربيّ ؛لأنَّ القرآن نزل بلغته وبيئته.

إنَّ ((تذوق الكلمة العذبة ووضعها في أي تعبير جميل أو أسلوب أخَّاذ هو فطرة في النفوس يشعر به كل صاحب ذوق سليم ونظر مستقيم وهو عمل يميل إليه السَّمع ويألفه الطبع))[1] ؛ ولهذا كان أسلوب القرآن الكريم هي الذي جذب هذه العقول إليه، فألفاظ القرآن منتقاة بعناية وتراكيبه كذلك فلا يمكن أنْ ننتزع لفظة ونضع بدلاً عنها أُخرى فتحل محلها في المعنى ، ومن هنا يتبين لنا سر الاستعمال القرآني في عقد الصلة بين المفاهيم المتباينة، وهو إجراء أُسلوبي يكشف عن الأبعاد الحقيقية والقيم المؤسسة للمنظومة الوجودية الحقة التي يكون للإنسان فيها أَسمى الغايات وأَعلى المراتب، ولبراعة الاستعمال ودقة الاختيار جاءت اقترانات عدَّة في القرآن الكريم للفظة الشِّراء، سوف نعرضها لنعرف سر هذا الانسجام في السَّياق القرآني وفائدته ، فالمتتبع للفظة الشِّراء في القرآن الكريم يجد أنّها قد اقترنت بمجموعة من الأَلفاظ جعلت بيانها واضحاً في مدلوله ومعناه ومن جملة هذه الاقترانات :

١ – اقتران الشِّراء بالضَّلالَة:

جاءت لفظة (شرى) مقترنة بلفظة (الضَّلالَة) في القرآن الكريم في ثلاث آيات وهي: قوله تعالى:﴿أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُواْ الضَّلالَة بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾[2] وقوله تعالى:

(١) صفاء الكلمة : ٢ .
(٢) سورة البقرة : الآية ١٦.

﴿أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الضَّلالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ السَّبِيلَ﴾[2] والملاحظ في هذا الشِّراء أنّ المُثمن المأخوذ مقابل الثمن هو الضَّلالَة وقد جاء في لسان العرب أنَّ ((الضَّلالَة: ضِدُّ الهُدَى والرَّشادِ))[3] وهذا يعني أنّ الضَّلالَة عملٌ غير سوي فهي انحراف عن الطريق المستقيم الذي نهى عنه الشَّارعُ المقدس ، وشراء الضَّلالَة في الآيات الكريمة استبدالها ؛ لأنّ الأصل الوضعي للشِّراء الاستبدال[4] والاستبدال أخذ شيء بشيء آخر[5] وشراء الضَّلالَة في الآيات القرآنية له مصاديق عدة منها: اشتراء الكفر عبر عدم التصديق بنبوة النبي محمد ﷺ والأحكام التي نزل بها من الله عزَّ وجلَّ[6] أو إنكار صفاته الواردة في كتب أهل الكتاب ، أو شراء كتب الأعاجم ليقصُّوها على النَّاس فيشتغلوا بها ويبتعدوا عن القرآن الكريم وآياته العظيمة[7] .

والملاحظ من اقتران الاشتراء بالضَّلالَة أنّه جاء لتقريب الفكرة إلى الأذهان ، بحيث أخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعاً ؛ لانَّ الشرى والتجارة راجعان إلى الاستبدال والاختيار ؛ لانَّ كل بائع من البائعَين يختار ما في يدي صاحبه على ما في يديه[8] وهذا الشرِّاء انَّما هو راجع إلى تصوير حالهم في الدنيا وقد دلَّ لفظ الـ(اشتراء) على إيثارها على الهدى فصار ذلك بغياً شديداً عليهم وتوبيخاً فاضحاً لهم؛ لأنهم قد رغبوا في ((الضَّلالَة رغبة المشتري بالسّلعة التي من رغبته فيها يبذل فيها الأثمان النفيسة وهذا من أحسن الامثلة فإنّه جعل الضَّلالَة التي هي غاية الشرّ كالسلعة وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن فبذلوا الهدى رغبةً عنه بالضَّلالَة رغبةً فيها))[9] ؛لانَّ طبيعة الإنسان لا يشتري

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٥ .
(٢) سورة النساء : الآية ٤٤ .
(٣) لسان العرب مادة (ضلل) : ٤/ ٢٦٠١ وينظر : الصحاح في اللغة مادة (ضلل) : ٤/ ١٠٥٤.
(٤) ينظر :لسان العرب مادة(شرى):٤/ ٢٢٥٢.
(٥) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٢/ ٨٩ ومجمع البيان : ١/ ١١١.
(٦) ينظر : مجمع البيان : ١/ ٤٧٩ وتفسير ابن كثير : ١/ ٤٨٤ .
(٧) ينظر : الكشاف : ٣/ ٣٧٠.
(٨) ينظر: البحر المحيط: ١/ ١٩٥ .
(٩) تفسير السعدي : ١/ ٤٣.

شيئاً إلَّا اذا كان له فيه رغبة شديدة واختياراً بإرادته وهذا يدل على نهاية الخسارة وعدم النظر في العواقب[١] وربما يكون في اشتراء الضَّلالَة بالهدى ((منافع مادية دنيوية ومنازل خاصة مطلوبة في هذه النشأة وإذا كانت هي الضَّلالَة واقعاً وربما لا يربح حتى بالنسبة إلى المزايا الدنيوية ، وآثارها الشيطانية المطلوبة لأهلها حتى يكون من الذين خسروا في الدنيا والآخرة ؛ وذلك لأنّ المشتري قد اشترى الضَّلالَة وأعطى ثمنها وهو الهداية مريداً بذلك الربح والنَّماء إلَّا انَّه ما بقي عنده إلَّا الضَّلالَة المحضة بلا أثر وفائدة ، فخسر الدنيا والآخرة))[٢] فربما يشتري هذا الشخص الدنيا بدينه فينتفع من ذلك ثم يعاقب في الآخرة وربما يشتري الدنيا بالدين ولا ينتفع منها بشيء يطلبه وهؤلاء هم المنافقون الذين اشتروا الضَّلالَة بالهدى طمعاً في الدنيا وحفاظاً على أموالهم وبعض المنافع الدنيوية[٣].

وقد يتبادر إلى الذهن سؤال حول آيتي البقرة كيف اشترى هؤلاء القوم الضَّلالَة بالهدى وهم كانوا منافقين لم يتقدم نفاقهم إيمان ؟ والجواب على ذلك في موارد عدة منها انَّهم باعوا ما كانوا عليه بضلالتهم التي استبدلوها منه والمفهوم من الشِّراء اعتياض شيء ببذل شيء مكانه عوضاً منه وهؤلاء ما كانوا قط على الهدى[٤].

ومنها جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنّه في أَيديهم فاذا تركوه إلى الضَّلالَة فقد عطلوه واستبدلوها به ولأنَّ الدين القيم هو فطرة في النفس فكل من ضلّ فهو مستبدل خلاف الفطرة[٥].

وهم قد أَخذوا الضَّلالَة وتركوا الهدى ؛ لانَّ معنى الشِّراء أَخذ المشتري مكان الثمن المشترى به فكذلك المنافق والكافر قد أَخذا مكان الايمان الكفر فكان ذلك منهما شراء[٦].

ومنها كذلك انَّ من ارتكب الضَّلالَة وترك الهدى جاز أنْ يُقال ذلك فيه فيكون معناه كأنّ الهدى الذي تركه هو الثمن الذي جعله عوضاً عن الضَّلالَة التي أخذها فيكون مشترياً

(١) ينظر : البحر المحيط : ١/ ٦٦٨.
(٢) تفسير مصطفى الخميني : ٤/ ١٥.
(٣) ينظر : تفسير مصطفى الخميني : ٤/ ١٦ .
(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١/ ٨١.
(٥) ينظر الكشاف : ١/ ٦٥ ومجمع البيان : ١/ ١١١ وتفسير مصطفى الخميني : ٤/ ١٩.
(٦) ينظر : تفسير الطبري : ١/ ٣١٢.

أيضاً[١].

ومنها كذلك أنّهم استبدلوا بالأيمان الذي كانوا عليه قبل البعثة كفراً ؛ لأنّهم كانوا يبشرون بمحمد ﷺ فلما بُعِث كفروا به فكأنهم استبدلوا الكفر بالإيمان[٢].

وعلى هذا إنّ إطلاق الاشتراء ـ هنا ـ مجاز مرسل بعلاقة اللزوم إذ أُطلق ((الاشتراء على لازمه الثاني وهو الحرص على شيء والزهد في ضده أي حَرَصوا على الضَّلالَة وزَهِدوا في الهدى إذ ليس في ما وقع من المنافقين استبدال شيء بشيء إذ لم يكونوا من قبل مهتدين))[٣] فالعرب تقول لمن تمسَّك بالشيء وترك غيره قد اشتراه وليس ثم شراء ولا بيع وإنما هو تمسُّك بشيء وفي الآيات ((دليل انَّ الشِّراء قد يكون بالمعنى دون اللفظ وهو المبادلة ؛ لأنّ الله تعالى سمى استبدالهم الضَّلالَة بالهدى شراء))[٤] .

جاء هذا الاقتران ليبين تمسك هؤلاء بشيء باطل وعقيدة فاسدة مقابل الفطرة والعقيدة الحقة النازلة من الله سبحانه وتعالى فعلى الرغم من بيانها وترجيحها فانهم تمسكوا بالباطل وجعلوه طريقاً تكون نهايته العاقبة السيئة؛ لانَّ من ((شأن أَهل الضَّلالَة أَنْ يسرعوا إلى غاياتها ولو كانت مبادئُ الدعوة تنافي عقائدهم))[٥] .

وإنّ الفعل (اشتروا) جاء ليشير إلى تلك الصفقة الخاسرة إذ ذكر الله سبحانه وتعالى فعل الشِّراء وعدل عن الاستبدال أو الاختيار في اللفظ لما في الشِّراء من معنى الرغبة في التمسك في الضَّلالَة والعذاب وترك الهدى والمغفرة ، وليلائم فعل الشِّراء مع صفقتهم الخاسرة ففعل الشِّراء فيه من الاستعارة ما تمثّل الايحاء بالمعاني والافكار التي لا يؤديها اللفظ الحقيقي وعلى الرغم من أنّ الفعل (اشتروا) في آيتي البقرة جاء مقترناً بـ (الضَّلالَة) بصيغة الماضي فهو يدل على أنّ الفعل تحقق في زمن مضى ، إلاّ أنّ الفعل أَخذ سمة الاطلاق والشمول الزمني ؛ لانَّ نتائج فعلهم أثبتت عليهم الكفر الذي بدوره أصبح دليلاً يوجب

(١) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١/ ٨٢.
(٢) ينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ١/ ١١١.
(٣) التحرير والتنوير : ١/ ٢٩٤ وينظر : تفسير الكشاف : ١/ ٦٥.
(٤) تفسير بحر العلوم : ١/ ٢١ .
(٥) التحرير والتنوير : ٢٥/ ٢٨٢.

استحقاقهم الخسارة والعذاب في الدنيا وإدخالهم النار في الآخرة[١] .

ويبدو أَنّ اقتران الشِّراء بالضَّلالَة في النَّص القرآني جاء في لفظتين لا تنتميان إلى المجال نفسه ، فالشِّراء بمفهومه عملية تداول خارجية مادية وواقعها الحاجة والفقر الوجودي ، ترفع بمزاولتها نقصاً لدى الإنسان ، والضَّلال معنى مجرد هو لازم من لوازم الاختيار غير الصحيح في مجال الهدف النبيل وبين دافع الشِّراء وواقع الضلال تبايناً كبيراً ؛ لانَّ قاصد الشِّراء لا يريد حكم العقل وإقرار العقلاء ؛ لأنه لا يبغي سوى حطام قليل بنفع يسير .

إنَّ هذا الاقتران جاء ليدل دلالة واضحة على الرغبة في الاختيار وهذه الرغبة كان فيها تصميم واصرار على أخذ الشيء والسعي إليه وليس هذا فحسب وإنّما تُشترى الضَّلالَة ويبذل من أَجلها الشيء الكثير ؛ رغبةً في تملُّكها والحصول عليها بكافة أَشكالها وأنواعها وهذه الرغبة كانت بشدة حتى وإنْ علم عاقبة هذا الأمر ، وكلّ هذا يشير إلى مدى الغي والغباء والخسارة الذي وقعوا فيه بحيث يجعل القلب يعتصر ألما على هؤلاء الذين تركوا مرضاة الله وهدايته مقابل أَشياء زائلة غير دائمة ، فإنّهم باشترائهم الضَّلالَة وإعطائهم ثمنها الهداية جاعلين من الربح والنماء الغاية الكبرى لهم والغاية الكبرى لهدفهم كانت النتيجة أنّهم ما بقي عندهم إلَّا الضَّلالَة[٢] وكذلك انَّ الذي ينتفع في الدنيا يستبدل ما لا حاجة به ويأخذ إليه ما يحتاجه وله فيه منفعة وهؤلاء خالفوا هذا الامر[٣] ؛ بسبب غيهم وانحرافهم عن جادة الحق .

٢- اقتران الشِّراء بالنَّفس :

جاء اقتران (الشِّراء) بـ(النفس) في موضوعين في القرآن الكريم الأَول في قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْاْ بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَا أَنَزَلَ اللهُ بَغْياً أَن يُنَزِّلُ اللهُ مِن فَضْلِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾[٤] والثاني قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ وَاللهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٥] الموضع الأول جاء الاقتران فيه بالمعنى السلبي لوجود (بئس) أَما الموضع الثاني

(١) ينظر : الطباق في القرآن الكريم (رسالة ماجستير) : ١٢٥ .
(٢) ينظر : تفسير مصطفى الخميني : ٥/ ١٥ .
(٣) ينظر : التحرير والتنوير : ١/ ٢٩٥ .
(٤) سورة البقرة : الآية ٩٠ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٢٠٧ .

فإنّ الاقتران فيه كان إيجابياً ؛ لانَّ نتيجة هذا الشِّراء (مرضاة الله) .

فإنّ الشِّراء الوارد في هذا الاقتران جاء بمعنى (البيع) ؛ لأنّ السياق القرآني الواردة فيه لا يمكن أنْ يحمل على معنى الشِّراء الحقيقي كونه لايناسب معنى السياق .

إنَّ الاقتران السلبي في الآية الاولى يُختلف فيه وفي صوره فقد يكون كفراً بالله فالكافر يبيع شخصيته الإنسانية ؛ لانَّ الكفر يهدم قيمة الإنسان من الأساس فيكون كالعبيد الذين باعوا أَنفسهم فامسوا أسرى بيد الاخرين[١] وهذا البيع فيه أكبر الخسارة ؛ لأنَّ الذي باع نفسه قد اشترى مقابلها غضب الله عزَّ وجلَّ وبذلك فقد أَلغى وجوده الإنساني[٢] فبئس البيع الذي يكون فيه الإنسان بائعاً نصيبه من الآخرة بطمع يسير من الدنيا[٣] فالنفس هنا بمنزلة المُثمن والكفر يكون بمنزلة الثمن ؛ لأنَّ النفس الخبيثة لا تُشترى بل تُباع[٤] .

أَمّا الاقتران الايجابي في الآية الثانية فإنّ بيع النفس يكون فيه مرضاة الله ، ومن صور بيع النفس قيام العبد بتطبيق أَوامر الله سبحانه وتعالى فالذي يجاهد في سبيل الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يُقتل يكون مصداقاً لمن يبيع نفسه[٥] ؛ لانَّ تحري الطاعات وتعريض النفس للمخاطر وبذلها في الجهاد ومحاربة الافكار الخطيرة بالمجتمع والتصدي لها بالفكر والقوة ، كل ذلك يتطلب بذلاً وفناءً في طاعة الله وبهذا يكون مصداق الآية الكريمة واضحاً في هذا الأمر فإنّ الذي ((يبيع نفسه كلها لله ويسلمها كلها لا يستبقى منها بقية ولا يرجو من وراء ادائها وبيعها غاية إلَّا مرضاة الله ليس له فيها شيء، وليس له من ورائها شيء))[٦] فهذا البيع مبارك عند الله وهو المرجو لنيل رضا الخالق.

إنَّ دلالة اقتران الشِّراء بالنفس جاء مرة ليدل على بيع العبد نصيبه من الآخرة بطمع قليل يسير في الدنيا وهذا البيع غير مرغوب فيه من قبل الله ، وآخر جاء ليدل على بيعٍ محمود ومرغوب فيه عن طريق بيع العبد نفسه من أجل رضا الله ؛ وذلك لأنّ النفس أغلى شيء

(١) ينظر: تفسير الامثل : ١/ ١٩٨ وينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن :١/ ٣٠٣.
(٢) ينظر : تفسير الامثل :١/ ١٩٨ .
(٣) ينظر : الدر المنثور :١/ ١٦٢ وتفسير بحر العلوم : ١/ ٨٠ وتفسير ابي السعود : ١/ ١٦٤.
(٤) ينظر : تفسير الالوسي : ١/ ٤٠٨ والتبيان في تفسير القرآن : ٢/ ١٨٣ والاعجاز البياني للقرآن الكريم ومسائل ابن الازرق : ٤٩٠.
(٥) ينظر : تفسير الكشاف : ١/ ١٩٣ وتفسير بحر العلوم : ١/ ١٧٢ .
(٦) في ضلال القرآن : مج١:/ ٢٠٥.

وهبه الله له وهو بهذا يبذلها في سبيل أَثمن شيء وهو نصرة دين الله.

٣- اقتران الشِّراء بعهد الله:

وردَ هذا الاقتران في آيتين من القرآن الكريم الأولى في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللهِّ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخرة﴾[١] والثانية في قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِعَهْدِ اللهِّ ثَمَناً قَلِيلاً إِنَّمَا عِندَ اللهِّ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢] فقد عرّفَ العهد بأنَّه ((الأمان والموثق والذمة))[٣] فاذا أُضيف العهد إلى اسم الجلالة فإنهّم يعرفون عهد الله بأنّه ((ما عهد إلى جميع خلقه في توحيده وعدله وتصديق رسوله بما وضع لهم من الأدلة الدالة على ربوبيته ، وعهد إليهم في أمره ونهيه وما احتجَ به لرسله بالمعجزات التي لا يقدر على الإتيان بمثلها الشاهد لهم على صدقه))[٤] وعلى هذا فإنّ ما ركز في عقول العباد من الحجة على التوحيد كأنّه أمر وصّاهم به ووثقه عليهم ، أو أخذ الميثاق عليهم ففي حال بعث إليهم رسول من الله يصدقه الله بمعجزاته فعليهم أَنْ يصدقوه ويتبعوه ويذكروه في الكتب المنزلة من عند الله فيكونوا مصداق لحفظ عهد الله[٥] وقيل إنّ عهد الله ((كل ما أَوجبه على العبد فقد عهد إليه بإيجابه عليه وتقديم القول فيه والدلالة عليه))[٦] وكذلك قيل أنّ عهد الله ((هم ما عاهدوا به ربهم و واثقوه بلسان فطرتهم أنْ يوحدوه ويجروا على ما يقتضيه توحيده من الآثار فإنّ الإنسان مفطور على توحيده تعالى وما يهتف به توحيده وهذا عهد عاهَدتهُ الفطرة وعقد عقدته))[٧] وعليه فإنّ التعريف الأخير يشمل العهود الفطرية التي عاهدوا بها ربهم كالفطرة على التوحيد والعدالة ، وحب الحق ، والمواثيق العقلية التي يدركها الإنسان بالتفكير والتعقل لعالم الوجود ، وكذلك العهود الشرعية التي عاهدوا رسول الله على الطاعة لأوامره الإلهية وترك المعاصي والذنوب وكذلك الوفاء بالعهد بين

(١) سورة آل عمران : الآية ٧٧.
(٢) سورة النحل : الآية ٩٥.
(٣) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير:٤/ ٤١١ وينظر : نظم الدرر : ٤/ ٤٩٩ .
(٤) التبيان في تفسير القرآن : ١/ ١١٧.
(٥) ينظر :تفسير الكشاف : ١/ ٩٦ .
(٦) التبيان في تفسير القرآن : ٤/ ٣١٩ وينظر : مجمع البيان في تفسير القرآن : ٢/ ٣٢٧.
(٧) تفسير الميزان : ١١/ ١٨٢.

الافراد[١].

ومن هذه التعريفات للعهد ومصاديقه يتبين لنا أنّ دلالته في الآية تُحَتّم علينا لزوم المحافظة عليه والتثبت عليه وعدم الافراط به والسعي إلى بقائه في فطرة سليمة خالية من الدنس بعيداً عن وسوسة الشيطان .

لقد جاء السياق القرآني ليبين أنّ اقتران (الشِّراء) بـ (عهد الله) كان اقتراناً سلبياً ؛ لأنّ هذا الشِّراء كان مقابله ثمناً قليلا دنيوياً ليس فيه نفع أُخروي ، ويدل على ذلك مجيء أداة النفي (لا) في سياق الآية الاولى ونتيجة (لا خلاق لهم) في الآية الثانية ؛ فالذي يستبدل بالوفاء بعهد الله والايمان الكاذبة حطاماً فانياً من الدنيا يأخذه لنفسه ، فإنّ ذلك يكون وباء وويلاً عليه لأنّه عرض من الدنيا يسير غير دائم[٢] ولا يخفى ((أنّ العبد إذا أَدرك حقيقة عبوديَّته وفنائه وذلَّته التامَّة تحت حكومة الرَّبّ الحيّ القادر القيّوم المحيط فيتعهَّد قهراً وبلسان الحال وفي النفس بمقتضى هذه العبوديّة أن يتعبَّد ويطيع ويُخلص لله تعالى وأنْ يجاهد في سبيله ويراعي حقوقه))[٣] فيكون الفوز في الآخرة من نصيبة.

٤ – اقتران الشِّراء بلهو الحديث:

جاء هذا الاقتران في آية واحدة في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[٤] فقد عُرِّف اللهو بأنّه ((ما لهوت به ولعبت به وشغلك من هوى وطرب ونحوهما ... يقال لهوت بالشيء ألهو به وتلهيت به إذا لعبت به وتشاغلت وغفلت به عن غيره))[٥] وبهذا فإنّ اللهو ما يشغل الإنسان عما يهمه ، واتباع اللهو والجهالة من الباطل الذي يبعد العبد عن طموحه وهمه وقد جاءت كلمة اللهو مع كلمة (الحديث) فلهو الحديث هو كل ما يشغل عن الله ويصد عن حضرة الله كائناً ما كان[٦] وبهذا فإنّ كل كلام يلهي القلب ويهدر الوقت ولا

(١) ينظر : تفسير الامثل : ٧/ ٣٨٧ .
(٢) ينظر : تفسير الكشاف : ١/ ٢٨٧ والدر المنثور : ٦/ ١٦٥ وتفسير بحر العلوم : ١/ ٢٨٢ وتفسير ابي السعود : ٤/ ١٥ .
(٣) التحقيق في كلمات القرآن الكريم : ٨/ ٣٠٢ .
(٤) سورة لقمان : الآية ٦ .
(٥) لسان العرب مادة (لها) : ١٥/ ٢٥٨ وينظر المحيط في اللغة : ١/ ٣٢٠ .
(٦) ينظر : فتح القدير : ٥/ ٤٨٣ .

يثمر خيراً ولا تؤتى حصيلة تليق بوظيفة الإنسان المستخلف في هذه الأَرض لعمارتها بالخير والعدل والاصلاح[١] يعدُّ لهوا ومن مصاديق شراء لهو الحديث هو ((الكلام الأجوف إمّا أنْ يتم عن طريق دفع المال في مقابل سماع الخرافات والأساطير ، وإمّا أنْ يكون عن طريق شراء المغنيات لعقد مجالس اللهو والباطل والغناء أو صرف المال بأي شكل كان وفي أي طريق للوصول إلى هذا الهدف غير المشروع أي لهو الحديث والكلام الفارغ))[٢] وهذا الشِّراء يشتريه الإنسان بماله ووقته وحياته فيبذل تلك الأثمان الغالية في لهو رخيص فيفنى عمره المحدود الذي لا يعاد ولا يعود فيشتري هذا اللهو ؛ وبهذا يكون جاهل لا يتصرف عن علم ومعرفة وحقيقة[٣] واللافت للأنظار في الآية الكريمة إنها عبرت بـ (لهو الحديث) بدلاً عن (حديث اللهو)، أي إنّ النص القرآني لم يقدم (الحديث) على (اللهو)؛ لأنّ ((الهدف الأساسي لهؤلاء هو اللهو والعبث والكلام والحديث وسيلة للوصول إليه))[٤] وكذلك فإنّ دلالة إضافة اللهو إلى الحديث للتبيين بمعنى من ؛ لأنّ اللهو يكون من الحديث وغيره فيبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر ، أو للتبعيض فيكون بعض الحديث المنهي عنه لا كلّ الحديث[٥] .

إنَّ اقتران الشِّراء مع لهوِ الحديث في الآيةِ الكريمة جاء ليدلُ دَلالة واضحة على أنَّ هذا الاستبدال باطل ولا نفع فيه للإنسان ؛ لأنَّه يجلب عليه الهَوان فشراء اللَّهو مقابل شراء الحق والجهد لهوَ الخسارة الحقيقية ؛ لأنَّ الإنسان بطبيعته يشتري ما يفيده لا ما يضرُّه فإنْ كان العكس انقلب هذا الشِّراء وباءً عليه فتصبح النَّتائج معكوسة ؛ لأنّ شراء اللهو وتقديمه على غيره القصد من ورائه شغل البال والعقل في أَمر باطل لا نفع فيه فلو كان فيه نفع لم يكن لهواً وإنّما كانت منفعة مباحة مرغوبٌ فيها لدى الجميع.

٥- اقتران الشِّراء بالحياة الدنيا:

ورد اقتران لفظة (الشِّراء) مع (الحياة الدنيا) في آيتين في القرآن الكريم الأولى في

(١) ينظر : في ضلال القرآن : ٦/ ٢٧٨٤ .
(٢) تفسير الامثل : ١٣/ ١٢ وينظر: تفسير مجمع البيان : ٨/ ٧٦.
(٣) ينظر : في ضلال القرآن : ٦/ ٢٧٨٤.
(٤) تفسير الامثل : ١٣/ ١٣.
(٥) ينظر : تفسير الكشاف:٣/ ٣٧١.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخرة فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾[1] والثانية في قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِّ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخرة﴾[2] الملاحظ إنّ الآية الثانية كان الشرّاء فيها بمعنى البيع وليست هي مدار البحث وإنّما الذي يعنينا الآية الاولى .

فالمعروف أنّ الحياة الدنيا تشتمل على الكثير من الأمور الايجابية التي أَمرنا الله بالاستفادة منها وكذلك الامور السلبية التي نهانا الله عن الخوض فيها فهي محل ابتلاء واختبار جعلها الله للتمييز بين عباده .

إنَّ اقتران الشِّراء مع الحياة الدنيا جاء منهياً عنه في الآية الكريمة لاسيما إذا عرفنا أنّ ثمن هذا الشِّراء هي الآخرة فالإنسان الذي يترك الآخرة ويشتري بدلاً عنها الدنيا يكون خاسراً في الآخرة ، فحب الرياسة في الحياة الدنيا والكفر بأنعم الله والصد عن سبيله[3] والرضا بها عن الآخرة وعدم العمل بالأحكام الالهية بل ((العمل بالأحكام المنسجمة مع مصالح الإنسان الدنيوية ليس دلالة على طاعة الله وعبادته لأنّ الدافع لم يكن الاستجابة إلى دعوة الله بقدر ما كان استجابة لنداء الذات والمصالح الذاتية .... فروح الطاعة تبرز لدى التزام الإنسان بما لا ينسجم مع مصالحه الآنية الذاتية))[4] فاستحباب قليل الدنيا على كثير الآخرة يعني أنّ الإنسان اختار الدنيا على الآخرة[5] وليس هذا فحسب وإنّما يسعى لتثبيت اختياره هذا بمحاربة من يريد شراء الآخرة بالدنيا ؛ لأنه آثرها على غيرها وسعى لها بكل ما يملك من جاه ومال وقوة وذلك لتيقنه بأنه خاسر في الآخرة ؛ فلذلك يعوضها بشراء الحياة الدنيا وتفضيلها على الآخرة وبسبب هذه النتيجة فإنّ الله سبحانه وتعالى جعل ترك الآخرة وأخذ الدنيا عوضاً عنها مع قدرة الإنسان على التمسك بالآخرة بمنزلة من اخذها ثم باعها بالدنيا[6] وإيثار الحياة الدنيا على الآخرة وشرائها يدل على أنّ الذي يسلك

(١) سورة البقرة : الآية ٨٦.
(٢) سورة النساء : الآية ٧٤.
(٣) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١/ ٣٣٦ ومجمع البيان في تفسير القرآن : ١/ ٢٩٣.
(٤) تفسير الامثل : ١/ ٢٨٦.
(٥) ينظر : الدر المنثور : ١/ ١٥٧ وتفسير بحر العلوم : ١/ ٧٨ .
(٦) ينظر : تفسير الثعالبي : ١/ ٥١ وتفسير الالوسي : ١/ ٣٩٩ .

هذا السلوك قد رضي بالدنيا ، وهذا الرضا جاء عوضاً عن الآخرة التي أَعدها اللهُ سبحانه وتعالى للمؤمنين فيكون هذا ثمناً لما ابتاع به من خسيس الدنيا[١] .

وبهذا يتضح لنا أَنَّ هذا الاقتران دلَّ دَلالة واضحة على أَنّ الذي يستحب قليل الدنيا على كثير الآخرة انَّما اختار الدنيا وما فيها من زينةٍ ومنافع قليلة غير دائمة على الآخرة وما فيها من نعيم دائم لا ينفد.

٦- اقتران الشِّراء بآيات الله :

ورد اقتران لفظة الشِّراء مع آيات الله في القرآن الكريم في موضعين الاول منهما قوله تعالى:﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللهِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إليهمْ خَاشِعِينَ للهِّ لاَ يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللهِّ ثَمَناً قَلِيلاً أُوْلَـئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾[٢] والثاني قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْاْ بِآيَاتِ اللهِّ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاء مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٣] والمعروف أَنّ آيات الله ودلائله وحججه وبراهينه وكتبه المنزلة على أَنبيائه ، وقدرته في الخلق ومعجزاته التي أَظهرها على يد أَنبيائه ، والتي تشير إلى وحدانيته قد أظهرها الله للعيان عبر الإشارات الدالة عليه في الكون ، والتي يعرفها كل عاقل مفكر[٤] وقد ذكرت (آيَاتِ اللهِّ) في القرآن الكريم وكان الهدف منها جعل الذهن يتفكر في صنع الله في خلقه كل ذلك لكَسب المزيد من الايمان للفرد البشري فمن((يعيها ويبصرها بموضوعية يهتدي بها ومن يقابلها بالجحود والصد تصير سبباً لغيه وضلاله))[٥] إنّ اقتران الشرِّاء بآيات الله جاء في السَّياق القرآني مرةً إيجابي وآخر سلبي فالإيجابي كانت دلالته في الآية الأولى مدحاً للمؤمنين بعدم شراء آيات الله بثمنٍ قليل ، وهذا لا يعني أنّ الدلالة هنا تجوِّز الشِّراء بثمنٍ كثير ، فإنّ عدم الجواز كان بعدم استبدال حجج الله وبيناته العظيمة بأي ثمن سواء أكان قليلاً أم كثيراً[٦] والآية أعطت أجرا عظيماً من عند الله للذي لا يعمل ذلك أمَّا السلبي فكانت دلالته في

(١) ينظر : تفسير الطبري : ٢/ ٣١٦.
(٢) سورة آل عمران : الآية ١٩٩ .
(٣) سورة التوبة : الآية ٩.
(٤) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ١/ ٣٦ وتفسير الطبري : ٢/ ١٤٠ ونظم الدرر : ٨/ ٢٣.
(٥) مراجعات قرآنية : ١/ ١٧٤ .
(٦) ينظر : التبيان في تفسير القرآن : ٥/ ١٧٣.

الآية الثانية للمنافقين الذين استبدلوا بآيات الله ثمناً قليلاً وعرضاً يسيراً من خلال إشباع الأهواء والشهوات.

إنَّ الذي يعرض عن القرآن والدين ، ويتبع الهوى ويأخذ الكفر بدل الايمان الذي وضحه الله له قد ضل عن طريق الحق والرشاد ، فاتباع المنافع الدنيوية والأهواء والنزوات والاعتياض عن آيات الله بأمور دنيوية رخيصة عبر عنها القرآن بالشِّراء وهذا الشِّراء غير مرغوب فيه ؛ لأنَّ أي استبدال لآيةٍ من آياتِ الله يعود على الإنسان بالخسارة.

إنَّ هذا الاقتران الذي جاء به السَّياق القرآني فيه دَلالة واضحة على عدم جواز استبدال آيات الله بأي شيء مهما كان الثمن ؛ لانَّ آيات الله لا ينبغي ــ دون شك ــ معاوضتها بأي ثمن قليلاً كان أم كثيراً ففي الواقع لو أُعطيت الدنيا بأجمعها لشخصٍ ثمناً لإنكاره آية من آيات الله لكانَ ثمناً قليلاً ؛ لأنَّ هذه الحياة فانية والحياة الأُخرى هي دار البقاء والخلود ، فما بالك بإنسان يفرِّط بهذه الآيات الإلهية في سبيل مصالحه التافهة[1] وهذا الاقتران جاء ليُبين أنّ إيثار الشيء القليل والتمسك به ليس من مصلحة الإنسان ؛ لأنه من الأمور الدنيوية الخسيسة التي من نتائجها الزوال وعدم البقاء.

الخاتمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرفِ الأنبياء والمُرسلين نبينا محمَّد وعلى آله وصحبه المنتجبين إنَّ من أَهم النَّتائج التي توصَّلَ إليها البحث ما يلي:

- يمتلك السياق القرآني دلالات متنوعة ومعانٍ عدة ، وكلها صحيحة وصريحة ، وهذه خصيصة من خصائصه.

- السياق القرآني يتسع لأكبر قدر ممكن من المعاني ، وهذا بدوره يقدم فهما واضحا لجميع العقول البشرية.

- من أهم الامور التي تبرز لنا الدلالات المختلفة في النص القرآني ؛ هو الانسجام اللغوي بين الألفاظ

- جاءت الاقترانات اللفظية عبر اقتران ألفاظ بأُخرى للكشف عن دلالاتها وتوضيح

(١) ينظر: تفسير الامثل : ١/ ١٢٦.

معناها وتقريبها إلى الأذهان عن طريق التوسع في معانيها.

– استُعمِلَ الشراء بمعناه الوضعي وهو الاستبدال ، ولكنه استبدال معنوي لا مادي يكشف عن اختيارات الانسان وتمسكه بما يريده ، وفي الوقت نفسه زهده بما سواه عن طريق استبداله بغيره.

– إنّ اقتران الاشتراء بالضَّلالَة جاء لتقريب الفكرة إلى الأذهان ، إذ أَخرجه بلفظ الشرى والتجارة توسعاً ؛ لانَّ الشرى والتجارة راجعان إلى الاستبدال والاختيار.

– السياق القرآني بين أنّ اقتران (الشِّراء) بـ (عهد الله) كان اقتراناً سلبياً ؛ لأنّ هذا الشِّراء كان مقابله ثمناً قليلاً دنيوياً ليس فيه نفعٌ أُخروي.

– إنَّ اقتران الشِّراء مع الحياة الدنيا جاء منهياً عنه في الآيات الكريمات لاسيما إذا عرفنا أنّ ثمن هذا الشِّراء هي الآخرة.

– بين البحث عدم جواز استبدال آيات الله بأي شيء مهما كان الثمن.

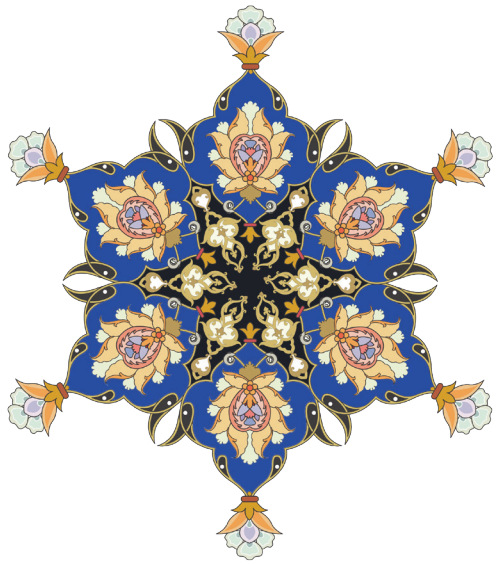

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الاعجاز البياني للقران ومسائل ابن الازرق: د. عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعارف ــ القاهرة ــ ط٣.

٣. الامثل في تفسير كتاب الله المنزَّل : الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ، الأميرة للطباعة والنشر ، بيروت ــ لبنان ط٢ ٢٠٠٩م.

٤. التبيان في تفسير القرآن : أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي. د.ت.

٥. التحرير والتنوير : محمد طاهر بن عاشور، مؤسسة التاريخ ، بيروت ــ لبنان ط١.

٦. التحقيق في كلمات القرآن الكريم : العلَّامة المصطفوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ــ لبنان ط٣ ٢٠٠٩م.

٧. التحقيق في كلمات القرآن الكريم : العلامة مصطفوي ، ط٣ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ٢٠٠٩م.

٨. تفسير ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن عامر بن كثير الدمشقي (ت٧٧٤هـ) ، تحقيق : سامي بن محمد سلامة ط٢ ، دار طيبة ـ الرياض ١٩٩٩م .

٩. تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) : أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت٩٥١هـ) ط٤ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٩٤م .

١٠. تفسير الالوسي (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) : أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي (ت١٢٧٠هـ) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت د. ت .

١١. تفسير البحر المحيط : أبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) تحقيق: علي محمد عوض وآخرون ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ط١ ١٩٩٣.

١٢. تفسير الثعالبي المسمى (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) : عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت٨٧٥هـ) ، تحقيق : علي محمد عوض وعادل أحمد عبد الموجود ط١ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ١٩٩٧م .

١٣. تفسير السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان): العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) ، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ط١ / ٢٠٠٢م.

١٤. تفسير الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، ضبط وتعليق محمود شاكر ط١ ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ٢٠٠١م .

١٥. تفسير الميزان: الميزان في تفسير القرآن : محمد حسين الطباطبائي ط١ ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت ١٩٩٧م .

١٦. تفسير بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن احمد السَّمرقندي (ت٣٧٥هـ) تحقيق : علي معوض وعادل احمد عبد الموجود ط١ ، دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٩٩٣م .

١٧. تفسير مصطفى الخميني: السيد مصطفى الخميني ، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام الخميني ـ ايران ـ ط١، جمادي الثانية / ١٤١٨هـ .

١٨. الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور : جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ط١ ، مركز هجر للبحوث والدراسات العربية الإسلامية ـ القاهرة ٢٠٠٣م .

١٩. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): ابي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت ٣٩٨هـ) ، دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان ط٥ ٢٠٠٩م.

٢٠. صفاء الكلمة: عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر ١٩٨٣.

٢١. الطباق في القرآن الكريم(رسالة ماجستير): نِعَم هاشم خالد سليمان ، اشراف الدكتورة : هناء محمود شهاب، جامعة الموصل ، كلية التربية، ، ٢٠٠٢م.

٢٢. فتح القدير: محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٥هـ) ،عالم الكتب ـ بيروت ـ د. ت .
٢٣. في ضلال القرآن: سيد قطب ط ٣٤ ، دار الشروق ، مصر ٢٠٠٤م.
٢٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٢٨هـ) ، تحقيق: أبو عبد الله الداني بن منير ال زهوي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ــ لبنان ٢٠١٢م.
٢٥. لسان العرب: ابن منظور (ت ٧١١هـ) تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف.
٢٦. مجمع البيان في تفسير القرآن : أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي(٥٤٨هـ) ، تحقيق :لجنة من العلماء والمحققين ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ــ لبنان ط٢ ٢٠٠٥.
٢٧. المصباح المنير: احمد بن محمد بن علي الفيومي تحقيق : يوسف الشيخ محمد المكتبة العصرية ـ بيروت ٢٠٠٧م .
٢٨. نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبي الحسن البقاعي (ت٨٨٥هـ) ، تصحيح وتعليق : محمد عمران الأعظمي العمري وآخرون د. ط، دار الكتاب الإسلامي ـ القاهرة ١٩٨٤ م .